أسباب التغيير الاجتماعي ودور التربية فيه، أساليبها وميادينها في التغييرمن منظور قرآني*

د. نديم هاراتشيتش**

*تاريخ التسليم: 2015/7/7م، تاريخ القبول: 2016/2/23م.
**أستاذ مساعد/ وزارة الأوقاف الكويتية/ الكويت.

ملخص:

يعد التغيير الاجتماعي عملية مستمرة الحدوث، وهي – حسب شموليتها وعمقها وميدان وقوعها– تحدث ضمن قوانين وأسباب محددة. فقد يقع التغيير في نفس الإنسان، وهذا النوع من التغيير يعدُّ نقطة الانطلاق لتغيير المجتمع ككل، ويحدث التغيير كذلك في طبقة اجتماعية معينة، ويكون أحياناً جذرياً، أو عالمياً، كما يتم التغيير حسب قانون المداولة أو الصراع أو التراقب الدوري. وكل تغيير يخضع للقوانين التي وضعها الخالق سبحانه، حيث أنه جعل لكل تغيير أسباباً تؤدي إليها، وقد تكون كثيرة ومعقدة. لكن الجانب الأقوى في الغالب يتعلّق بدور الإنسان، إما بعمله الصالح والإيجابي، أو السيء والسلبي. والتربية والتعليم من أهم الطرق التي يمكن من خلالها إحداث التغيير، وجوهر ما يدعو إليه القرآن بأكمله هو تربية الناس وتعليمهم، والدعوة للتغيير الإيجابي، فهما، أي التربية والتعليم الطريقان الأساسيان اللذان يؤديان إلى التغييرات المطلوبة والمأمولة. والمنهج القرآني في التغيير تربوي في الأساس، يستخدم أساليب مختلفة في ميادين محددة.

الكمات المفتاحية: التغيير الاجتماعي، التربية، منظور، قرآني.

The Reasons of Social Change and the Role of Mentoring Therein; Its Methods and Contexts in Change from a Quranic Perspective

Abstract:

Social change is considered to be a continuous process that occurs within specific laws and causes in accordance to its comprehensiveness, profoundness, and context of occurrence. Change may occur within the human self, which is considered the starting point of changing society as a whole. Change may also occur within a specific social class, which may experience change at the root, or a change of rule in accordance with the laws of recurrence, conflict, or consecutive observation, while it may be global change. All forms of change are subject to the laws set by the Creator, as He made for each type of change its own reasons, which may be numerous and complicated. However, the most powerful side usually relates to the role of humans, who may make it good and positive, or bad and negative. Mentoring and education are among the most important ways through which change can be made. The essence of what the Qur›an advocates as a whole is to mentor people and to educate them, and to advocate positive change. The Quranic method of change is, at essence, that of mentoring by applying various methods in specific contexts.

Key words: *Social change, mentoring, perspective, Quranic.*

مقدمة:

من المعلوم أن لهذا الكون قوانين جعلها المولى – عز وجل– ثابتة لا تقبل التغيير، والتي تسمى بالمصطلح القرآني **سنن الله**. وهذه السنن تمضي في هذا الكون على وتيرة ديناميكية معينة، وباتجاه محدد، وفي بُعد وزمان محددين. كلٌ في حركة وتغيّر، لكنها تبقى ضمن قوانين **الله**، كما قال **الله** عز وجل: ﴿**سنَّة الله في الّذين خَلَوا من قَبلُ ولَن تَجدَ لِسُنَّة الله تَبديلاً**﴾. [1]

ومن هذه القوانين الإلهية ما يخص التغيير بين البشر، أفراداً وجماعات، حيث يحدث ذلك خلال فترة زمنية محددة وضمن مجريات التاريخ. كما يمكن حصول هذا التغيير لفرد بذاته، أو لجماعة معينة، أو حتى لجيل بأكمله، أو لحضارة عند ضعفها وتراجعها أوقوتها ونهضتها. ولهذه التغييرات أسباب تعدّ جزءاً لا يتجزأ من هذه القوانين والسنن. إن التساؤلات ومحاولة الفهم لتلك التغييرات التي نشهدها جميعاً بالفترة الأخيرة، ونعني بالتغييرات تلك التي وقعت في أشهر قليلة وجلبت أحداثاً تحتاج – بالنظر عبر التاريخ – إلى عقود بل قرون، تمثّل نقطة البداية والأساس لهذا البحث.

ومن الأسئلة المطروحة في هذا الخصوص ما يلي: **لماذا تحدث التغييرات؟ ما أسبابها وقوانينها من وجهة نظر القرآن الكريم؟ في أي لحظة تبدأ تحديداً؟ وما دور الإنسان في هذه التغييرات؟**... إلخ. من خلال استقراء القرآن لإيجاد الفترات الزمنية التي حدث التغيير فيها، و بتحليل الآيات التي تستعرض الأحداث التي غيّرت وأسهمت في صناعة التاريخ، سيترك هذا لنا انطباعاً جليّاً أن القرآن ذاته كتاب يحمل في طياته التغيير. وأكثر ما يشهد على ذلك تحوّل المجتمع العربي بعد الوحي، والذي لم يكن يتقيد بكتاب سماوي وكانوا يعيشون في بيئة وثنية، إلى مجتمع متحضر ناهض ليصبح قائداً للحضارة العالمية وذلك في غضون عقود قليلة، كان القرآن فيها هو المربي والمعلم. وسنجد أن الظلم من جهة والضلال من جهة أخرى هما سببان مهمان لحدوث التغييرات الحاسمة من الناحية السلبية، حتى يكاد يكون هلاك أمة بأكملها متعلق بتصرفات أفرادها التي تستوجب العقوبة. وفي الحقيقة، فإن الفرد قادر على أن يتحكم بقدْرٍ معين بالتغيرات التي تحدث في المجتمع. وما يدعم هذا الرأي ما جاء في تلك الآيات التي تتحدث مباشرة عن التغيير، كما في قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يُغَيّرُ ما بقَوْم حَتّى يُغَيّروا ما بأَنفُسهم**﴾ [2]، وقوله: ﴿**ذلكَ بأن الله لم يَكُ مُغَيّراً نعمةً أنعَمَهَا على قومٍ حتّى يُغَيّروا ما بأنْفسهم وأنّ الله سَميع عَليم**﴾ [3] .

إن بعض المصطلحات القرآنية تدلّ بقوة على أن الإنسان قادر على إحداث تغييرات حاسمة، وأن لهذا التغيير يوجد قانون وطريقة ومنهج، حيث نجد مصطلح «الإصلاح» في القرآن تكرّر في 170 موضعاً، [4] وفي ظروف مختلفة، كأسلوب تعليمي– تربوي، تقليدي لأجل تغيير الحال. قال تعالى: ﴿**لاَّ خَيْرَ في كَثير مّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بصَدَقَة أَوْ مَعْرُوف أَوْ إصْلاَح بَيْنَ النَّاس وَمَن يَفْعَلْ ذَلكَ ابْتَغَاء مَرْضَات اللّه فَسَوْفَ نُؤْتيه أَجْرًا عَظيماً**﴾ [5] . هذا الإصلاح بين الناس يمكن أن يكون عن طريق تهدئتهم وإحداث الصلح والسلام بعد الخصومة، أو يكون في جعل المسلمين على كلمة واحدة، [6] أو يكون في أي شيء يدل على تصحيح الحال بين الناس وجعله أفضل

مما كان عليه. [7] وإن كان لهذه الآية سبب للنزول، لكن العبرة التربوية المستوحاة منها عامة لكل المجتمع. [8] أو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [9] . أي أن الله لن يعاقب السابقين إذا كانوا ممّن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون في الأرض، ولكنهم معاقبون لأنهم لم يدعوا للخير والإصلاح. كما يفهم من الآية السابقة أيضاً أن السابقين لم يعاقبهم الله لأجل شركهم (إذا فهمنا كلمة ظلم في الآية بمعنى الشرك) كما تدل عليه آيات أخرى، بل كانوا معاقبين لأنهم لم يصلحوا ولم يدعوا للإصلاح. [10]

تعدُّ التربية الوسيلة الأولى والأهم لتغيير الإنسان والمجتمع، لأن مبدأها تغيير النفس بناءً على التعليم والتوعية. ومصطلح التربية واسع الاستخدام لأنه يشمل جوانب عدة لبناء الشخص وتعليمه، وهذا يتبين من خلال معنى التربية اللغوي ومن خلال ورود هذا المصطلح ومشتقاته وأجزائه ومرادفاته في القرآن الكريم وما تضمنه من معانٍ ودلالات.

كلمات محورية

التغيير، أي تغيّر حاله، فليس على حاله السابق، [11] أو أنه استبدل بشيء آخر، أي أنه تبدّل فجاء محله شيء أو شخص آخر. [12] والمعنى اللغوي لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي، وقد جاء في القرآن كلمات مساوية أو مشابهة بالمعنى، مثل: تبديل، تحويل، نسخ.

المجتمع، لم تأت هذه الكلمة في القرآن بهذه الصيغة، بل جاءت بصيغة أمة أو قرية كما في قوله تعالى: ﴿وما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ﴾ [13]، وقوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [14]. إذن، تحت مسمّى المجتمع يدخل معنى الجماعة والأمة والمجموعة التي تعيش في أرض مشتركة والذين تربطهم قوانين مشتركة، وأحكام وعادات وتقاليد... الخ.

التربية، لم ترد لفظة التربية في القرآن الكريم بنصها، ولكن وردت بعض مشتقاتها في ثلاثة مواضع بصيغتين، صيغة الفعل ووردت في قول الله تعالى:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [15] كما ربياني ورحماني بتربيتهما. فالتربية تكملة للوجود. وفي قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [16] والتربية هنا: كفالة الصبي وتدبير شؤونه. قال مقاتل: ذكر موسى وفرعون، لأنّ أهل مكة ازدروا محمدا– صلى الله عليه وسلم – واستخفوا به، لأنه ولد فيهم، كما أن فرعون أزدرى موسى، لأنه رباه ونشأ فيما بينهم. [17] أما في صيغة الاسم فقد وردت في موضع واحد، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [18] أي: يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم بصغار العلم قبل كباره. [19]

مفهوم التغيير الاجتماعي

درست التغييرات الاجتماعية من قِبَل عدد من العلماء عبر التاريخ، بداية بالفلسفة اليونانية، واستكمالاً بالعلماء والمفكرين من كلّ حقبة ومن كل قومية. أول من ذكر مصطلح التغيير الاجتماعي هو عالم الاجتماع آدم سميث (1723 – 1790) في كتابه : «ثروة الأمم»، لكن معنى هذا الاصطلاح استخدم بشكل أوسع في بداية القرن العشرين في كتاب يحمل نفس الاسم «التغير الاجتماعي» من قبل الكاتب: وليم أوجبرن (1922) . لكن بحوثاً مبكرة كمعظم الأبحاث الاجتماعية المعاصرة التي تختص بالتغيرات القانونية، لا تزال قاصرة بدون المنظور القرآني عن المجتمع.

هناك القليل من الأبحاث التي تتحدث عن التغيير الاجتماعي كموضوع متكامل من منظور القرآن، ولا يكاد يوجد بحث تربوي في إطار التعليم يبحث في هذا الموضوع إلا في السنين المتأخرة. [20] مع أن الأجيال الأولى من علماء المسلمين دللوا على وجود قوانين وأسباب للتغيير في المجتمع، إلا أنها بقيت مجرد مبادئ جزئية من غير تحليل موضوعي لهذه الفكرة. كان ابن خلدون أول عالم مسلم ناقش وتكلم عن الأفكار التي هي جزء من القانون الاجتماعي مباشرة، تحدث عن الظاهرة الاجتماعية (التعاقب الدوري)، حيث تنهض فيها حضارة معينة وتسير نحو تطورها إلى حد معين يمثل قمتها، ومن ثم تعيش حالة تدهور وسقوط. [21] وهناك نظرية عن مبدأ التغيير الذي يحدث بسبب الصراع بين طبقات مختلفة، إذ إن الاختلافات بينها هي السبب الأساسي المؤدي للصراع، ومنها إلى التغيير. كذلك توجد نظرية حول العامل المادي الاقتصادي وهو السبب المحوري للتغيير؛ في حين يراه بعضهم أنه تقدّم تنموي يحدث التغيير، وبعضهم الآخر يراه قوة فكرية في مجتمع معين، وآخرون يرون أنه عبارة عن عوامل توفر التوازن بسبب التغيير، سواء بدأ من أفراد أو من مجتمع ككل. وهكذا يتشكل لدينا عدد من التعريفات لمصطلح التغيير الاجتماعي، ويمكننا تلخيصها بالجملة الآتية: ظاهرة طبيعية وعفوية تحدث باستمرار، وتدريجياً، وتشمل أعضاء كل مجتمع وتؤثر بأحوالهم وأوضاعهم.

أنواع التغييرات الاجتماعية في القرآن حسب شموليتها

ذكر القرآن الكريم في طياته أمثلة عن التغيير العالمي، وقد نجد هذا النوع من التغيير في الآيات التالية من سورة الروم، قال تعالى: ﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [22]. فالقرآن إذن، بخطابه المعجز يشير إلى حدوث تغيير على الحضارات في مستقبل قريب، وذلك عند نشوء صراع بين امبراطوريتين عظميتين، ويحدث إثرها تغلب الروم على قوة الفرس. وقد حددت الآيات وقت حدوث تلك التغييرات في بضع سنين، أي ما بين ثلاث إلى تسع سنوات، وهذا يمثل إعجازاً قرآنيا، وبهذا يعطي للمسلمين فرصة للتغييرات الجذرية التي تلوح في الأفق. وتتحدث الآيات في سورة الكهف عن التغييرات الاجتماعية التي ستحدث لطبقة بأكملها من النخبة لتي كانت وثنية الديانة، وقدوم طبقة جديدة تدين لله تعالى وتحتكم لأمره. وهذا التغيير تم حدوثه في مدة زمنية تقرب من ثلاثمائة عام، وهي المدة التي قضاها فتية الكهف المؤمنين في سبات عميق. يقول تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۞ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ

يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا" [23] . إذن، خلال ثلاثة قرون من الزمان تحول حال رؤساء تلك الأمة من الظلم وعبادة الأوثان وصدهم عن دين الله إلى الدعوة للإيمان وعمارة المساجد. ونجد في القرآن الكريم مثالاً واضحاً عن تغيير الحكم من خلال قصص تتحدث عن مصر التي تعاقب عليها عدد من الحكام ذوي النفوذ والسلطة على قلة فئتهم في المجتمع، وهم من ذكرهم القرآن باسم (الملأ)، فقد حكمهم الفراعنة فترة طويلة من الزمن، إلى أن جاء عصر يحكمهم فيه الملوك. كما جاء في سورة يوسف عندما طلب العزيز– ملك مصر– تفسير منامه، ففسره له يوسف – عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [24] . ومن جهة أخرى، يظهر في قصة موسى –عليه السلام– أن فرعون هو الذي كان يسيطر على مصر آنذاك، لقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [25]

وفي كتاب الله تعالى آيتان كريمتان تدلان بوضوح على التغييرات في أحوال الناس أفراداً وجماعات بناءً على أمر بيّنه تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[26]. وفي الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[27] . فكلاهما تبينان أن للمجتمع دوراً محورياً في التغيير، وذلك حينما يقوم الأفراد بتغيير ما بأنفسهم. إن حرف الباء في الآيتين – كما يورد المفسرون– هو للسببية، أي أن التغييرات التي يقوم بها الناس في أنفسهم هي السبب الذي لأجله يأذن الله تعالى ببداية التغييرات العامّة. على هذا، فإن التغييرات تبدأ من التغيير في الفرد نفسه، من خلال قناعته وإيمانه، وهذه القناعة تنعكس بدورها على أعماله، هكذا في الأفراد، ومن ثَمّ في الجماعات، ممثلةً في مؤسسات مختلفة، سياسية، اقتصادية و تعليمية.[28]

يمكن ملاحظة هذه الأنواع من التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في فترات زمنية، كما في مثال السبع سنين الوافرة والغنية بالخيرات، وما عقبها من سبع سنين شديدة وجافة، والتي ورد ذكرها جميعاً في سورة يوسف.

التغييرات كسنة الله في الأرض ـ قانون التدافع والصراع والمداولة بين الناس

يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[29]، تبين الآية أنّ الله – عزّ وجلّ– يصدّ ويدفع الناس بعضهم ببعض، أي أن المؤمنين المخبتين لله تعالى يصدّون من يسعى فساداً في الأرض ويمنعونهم من تحقيق مآربهم إذا ما أتيحت لهم الفرصة. وهذا القانون الاجتماعي يكفل التوازن على الأرض.

أما التداول فيقول الله –عز وجل– في كتابه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[30].

يتبين لنا أن المداولة بين الناس في الظفر والخسارة قانون اجتماعي، ويلعب دوراً هامّاً في الحياة.

مفهوم التربية في عملية التغيير الاجتماعي

إن القرآن الكريم يربي الأفراد والجماعات على أساس توحيد الله، وتعليم هذه الحقيقة هو أصل في التربية، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.[31] ثم يبني على هذه الحقيقة أسساً أخرى عقَدية وفكرية وخلقية واجتماعية تمتد إلى نهاية عمر الإنسان وتنفعه في الدنيا والآخرة. وكان نبينا – صلى الله عليه وسلم – بسيْره على المنهج القرآني التربوي مربياً مثالياً إذ استطاع في سنوات قليلة أن يغير المجتمع الجاهلي والوثني ليصبحوا أفضل جيل عرفه التاريخ إيماناً وخلقاً وجهاداً في سبيل الله تعالى. فالعملية التربوية إذن تشمل (تعليم الأفراد قيماً ومهارات اجتماعية تؤهلهم ليكونوا مشاركين في الحياة على أسس من قواعد والتزامات العقيدة الإسلامية السمحة التي تحفظ لهم ولمجتمعهم هويته، وتجعلهم متمتعين بحصانة ثقافية تمكنهم من التفاعل اليقظ مع الهويات الثقافية في زمن صار فيه العالم متواصلاً.)[32] والتربية والتعليم هما من الأساسات الهامّة في تغيير المجتمع الذي يبدأ من تغيير ما بالأنفس. لذلك فإن المنهج القرآني في الإصلاح هو سبب محوري في تغيير المجتمع بأكمله، فهو منهج تدريجي وثابت، يبدأ في تعليم العقيدة الصحيحة وغرس تعاليم الدين الواضحة والحازمة، ثم يقوم بتحديد الالتزامات والعبادات المفروضة. والمبادئ ذاتها في النشاط التربوي والتعليمي هي مبادئ ثابتة كالتعليم بالنصيحة والكلمة الطيبة، والتعليم بالأسوة الحسنة، والتعليم من خلال قصص التاريخ والوقائع السابقة، وهناك التعليم بالترغيب وبالحث على الخير والتحبيب لدخول الجنة، وكذلك بالترهيب، وهو بالتخويف من معصية الله وبالتحذير من النار. لذلك تعتبر التربية أهم وسيلة لتغيير الإنسان والمجتمع، لأن مبدأها تغيير النفس بناءً على التعليم والتوعية وفقاً لكتاب الله تعالى.

ومصطلح التربية واسع الاستخدام لأنه يشمل جوانب عدة لبناء الشخص وتعليمه، وهذا يتبين من خلال معنى التربية اللغوي ومن خلال ورود هذا المصطلح ومشتقاته وأجزائه ومرادفاته في القرآن الكريم وما تضمنه من معانٍ ودلالات. ولذلك تعددت دلالات كلمة (التربية) وتنوَّعت في موسوعات المصطلحات ومعاجم اللغة، إلا أنها تشير في معظمها إلى أصول لغوية عدة يمكن من خلالها تحديد المعنى الأساسي للتربية وفهمه. فالأصل الأول هو (ربا يربو رباء وربواً) وله عدة معانٍ، فهو يعني: الزيادة والتنمية أي ربا رباواً ورباء زاد ونما وارتبيته وأربيته و نميته.[33] ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ.﴾[34] والمعنى الآخر هو: نشأ وترعرع، ويقال ربي فلان في بني فلان أي نشأ فيهم، وتقول ربّاه بمعنى أنشأه ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية. كما جاء بمعنى: حفظ ورعى. ويعني أيضاً: التغذية ويقال ربيته تربية وتربيته أي غذوته وهو لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه.[35] والأصل الثاني رَبَّ يَرُبُّ ويندرج تحته المعاني التالية : المُلك والقيام عليه وتدبير أموره و الرب هو الله – عز وجل – هو رب كل شيء، أي مالكه، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة. ورب كل شيء مالكه ومستحقه، فالرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم. كما يعني: الحفظ والرعاية، و الإصلاح والإتمام، يقال ربَّ الضيعة أي أصلحها وأتمها.وربَّ الرجل ولده يربه رباً وربيه وتربيه بمعنى رباه. [36] ويعني الجمع

والزيادة، يقال ربّ جمع وزاد، ومن هذا الباب الربابة، وهو العهد وسمي العهد ربابة لأنه يجمع ويؤلف.[37] ويعني: الرسوخ في العلم، ومنه العالم الرباني أي الراسخ في العلم.[38]

تدور التعريفات اللغوية حول الرعاية والمحافظة والسياسة والعلم والتنمية والزيادة والنشأة والترعرع وأما علماء التربية فيعرفونها بأنها: (نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة، ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطًا معينًا لتكون نمطًا خاصًا بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته.)[39] ومنهم من ربطها بالمفهوم الإسلامي للتربية فعرفها بأنها: (المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام.)[40] فهي: (عملية نمو واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات والأشياء المحيطة به ومع البيئة العامة التي يعيش فيها)[41] وعن طريق (استخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خلقياً وعقلياً حتى يصبح حساساً بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية، قادراً على العمل والنشاط الحقيقي بمقتضى ما يختاره منها.)[42]

أما التغيير التربوي فيعد (عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وهو عبارة عن عملية نمو يتحول الفرد خلالها من طفل متركز حول ذاته معتمد على غيره ويستهدف فقط إثبات حاجاته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها ويستطيع أن يضبط انفعالاته، ويتحكم في إشباع حاجاته بما يتفق مع المعايير الاجتماعية.)[43] وبذلك فإن التربية الإسلامية منهج شامل للحياة في مجالاتها جمعيها، ونظام اجتماعي تربوي يتناول المجتمع بكل مظاهره الفكرية والثقافية والعلمية.فهي تشمل تنمية جميع جوانب الشخصية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة.

الأساليب التربوية في التغيير

يبدأ القرآن الكريم في تغيير الإنسان بتربية عقله بتفريغه من كل المعتقدات والتصورات المخالفة لمنهجه وتصوراته عن الألوهية وطبيعة الكون كما خلقه الله تعالى. لذلك للعقل في القرآن الكريم مكانة عظيمة ولم يأتِ ذكره إلا من باب المدح والتعظيم لشأنه وله دور عظيم في قضية الإيمان والرسالة والتدبر في خلق الله والتعامل مع الناس، فهو الخطوة الأولى في طريق التغيير الذي يخطط له القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[44] أي: من تفرغ عقله من كل المعتقدات وخلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحد الله، فعبده وحده، وشهد أنه لا إله إلا هو ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾، أي: فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريقة المثلى، والصراط المستقيم.[45] وبذلك يبدأ القرآن الكريم الجولة التربوية الطويلة مع العقل الإنساني للكشف عن هذه الانحرافات ويأخذ في نقضها واحدة تلو الأخرى، بداية بتفهيم الألوهية، فيقول تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[46] ثم يغرس القرآن في العقل الإنساني أن الملك لله تعالى لا غيره: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ**﴾[47]، ثم يقرر تفرد الله تعالى بالخلق: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾[48] فينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق، ولهذا فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى: ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ**﴾؟ أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟[49] وهكذا فرَّغ القرآن العقل من المعتقدات الخاطئة والانحرافات العقائدية، وبيّن توحيد الله سبحانه وتعالى، وأنه المدبر والمسبب، وأنه جعل كل شيء بمقدار، وأن للإنسان الدور الرئيس بين سائر المخلوقات وأنه خليفة الله في الأرض، وأن له من الصلاحيات ما يُؤهله للقيام بالواجبات والمسؤوليات. ويُعنى القرآن الكريم بتربية الروح والجسم ويحيطهما بسياج من العناية والرعاية بما يتفق مع الفطرة باستخدام الوسائل المشروعة التي تعين تمكين الروح والجسم من تحمل أعباء الرسالة التي أناطه الله بها من تعمير الكون وأداء الفرائض والتكاليف والدفاع عن شريعة الله.

والقرآن يخلق في ذات الفرد توازناً بين حاجاته ورغباته، ويعادل بين متطلباته المادية وأشواقه الروحية، فلا يهمل إحداها في سبيل الاهتمام بالأخرى.[50] وفي سبيل تربية الجسد يحدد القرآن للإنسان أنواع الأطعمة التي يأكلها ويشترط فيها أن تكون حلالاً طيباً: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾[51] وبفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج يطهر الله تعالى جسد وروح الإنسان ليكون قوياً قلباً وقالباً، كما يدعوه دائماً إلى أن يحفظ نفسه من الدنس. فأمره بغض البصر عن المحرمات: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[52] وأمرهم بنظافة الجسد والروح، بالوضوء والتوبة لأن القرآن يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف.

التغيير التربوي بالموعظة والقصة والقدوة الحسنة

يقدم كتاب الله لأتباعه من خلال منهج التربية مجموعة من المواعظ التي تدعو إلى تهذيب النفس وتطهيرها، وهي تحث الإنسان على تغيير نفسه بالعمل الذي يجعله من الناجين، فقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[53] أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقّاها بطاعة الله، وعلاّها بالعلم النافع والعمل الصالح. ﴿**وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾، أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدنسها[54] فتزكية النفس وتطهيرها حتى لا يبقى فيها من أمراضها شيء، وإشاعة المحبة في المجتمع وتجمل الحياة بنبل النفس وسلامة أخلاقها كل ذلك من أهداف التربية.

ومن الأهداف أيضاً سلامة القلب حتى يحب الله ويحب في الله ونزع ما فيه من حظ الشيطان من وسوسة تبعد الحق وشكوك تقرب من الباطل.[55] فهذه المواعظ وغيرها في القرآن الكريم تعد توجيهاً واضحاً للإنسان إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وهي في الوقت نفسه نقطة الطرق للتغيير في نفس كل إنسان يسعى إلى

الخير. ثم يعظ القرآن الكريم الإنسان أن يبقى على الاستقامة بأنه يكون معتدلاً وماضياً على النهج دون انحراف. إن التربية كمنهج تطلب من الإنسان الاستقامة، ودوام اليقظة والتدبر والتحري لحدود الله، وضبط انفعالاته من الانحراف. يقول تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[56] وكما أن في طرح القصة المؤثرة دوراً كبيراً في تغيير الإنسان فهي تترك الأثر المرجو في نفوس السامعين فتحركها بشكل إيجابي وتوجهها للتغيير المطلوب. وإن من أهم معطيات القصة القرآنية والمتضمنة غير قليل من الأخلاق الحميدة إيجاد القدوة البشرية، والمتمثلة في الشخوص المقصودين بالقصة، وهو مرتكز مهم في التربية، لأن وجود من تمثل بالخلق، أو القضية المقصودة دليل على إمكانية العمل بمثل عملهم. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[57] كما أنها تعطي العظة والعبرة وقد دل على ذلك ختم كثير من القصص القرآنية بما يفيد أن إيرادها عبرة وذكرى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[58] وفي المقابل فإن هناك قصصاً فيها العظة والعبرة، وهي تذكر نماذج سيئة من البشر والتي تدعو قصصهم إلى مذمة مماثلتهم [59] قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[60] فقصة قارون تحث العاقل على التواضع وشكر النعم كما أنها تُنفره من الكبر وبطر الحق، ليصبح متواضعاً شاكراً لنعم الله تعالى. وقد عدد القرآن الكريم الأخلاق السيئة وأصحابها وبيَّنها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[61]، أي: إن فرعون تجبر وطغى في الأرض وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان، لأنه كان من الراسخين في الإفساد.[62]

التغيير التربوي بالعقوبة والترغيب والترهيب

إن من الناس من تكفيه الإشارة والتلميح حتى يتوجه للصواب، ومنهم من يستجيب للترهيب دون الترغيب، أو العكس، وهناك من لا يردعه إلا الشدة والتهديد بالعقوبة أو العذاب. والقرآن الكريم يراعي هذه الطبائع المختلفة لدى الناس فيخاطبهم بكل هذه الأساليب على اختلاف عقولهم وطبائعهم. ومن تلك الأساليب في القرآن الكريم أسلوب العقاب الإلهي الدال على عدم رضا الله عن بعض الأعمال، وهو نوع من الترهيب البسيط، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [63] وفي الآية عتاب مؤثر من الله تعالى إلى تلك القلوب التي لم تستجب لأمره بعدما أرسل لها الرسل والآيات والمعجزات. وقد يكون العتاب أشد ببيان غضب الله صراحة، كما جاء في قوله تعالى عن حادث الإفك: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[64] ومثل هذا الفعل يستحق العذاب الشديد، إذ ألقى الكلام في أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بلا تدبر ولا فحص ولا إنعام نظر، ولكن الله احتسبها درساً قاسياً للمسلمين، فكان بيان غضب الله العتاب التربوي.[65]

ويعد الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية المتقابلة في القرآن الكريم، حيث يعرض صوراً متقابلة بين الترغيب والترهيب مثلما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[66] والغرض من هذا التصوير هو ترغيب النفوس في هذا الفضل ودفعها إلى العمل بما يوصل إلى هذه المنزلة، ثم انتقلت الآيات إلى وصف آخر: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[67] وشتان بين الوصفين ففي كل منهما استخدم من الألفاظ ما سيتناسب مع المعاني الوجدانية التي أريد إثارتها في النفوس.[68] ومع هذه الإثارة تبدأ علامات التغيير في النفس لتسير في طريقها إلى ما وعده الله من الخير والبركات. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[69] والمثاني (تثنية القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر.)[70] وكثير من آيات القرآن الكريم ترغب الناس في قبول دعوة الحق، وإلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، كما أن كثيراً منها تنفر الناس من الكفر وترهبهم بالعذاب والعقوبة اذا اتبعوا طريق الهوى والشيطان.

وأما التغيير بالترهيب فيكون بالتخويف والوعيد من عواقب ما حرمه الله تعالى ونهى عنه، سواء كان هذا التغيير خفياً في النفس بإصلاح النية وترك المحظور، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[71]، فهنا توعَّد الله من تعمَّد قتل المؤمنين بالخلود في جهنم واللعنة والعذاب مما يُثير في القلب نفوراً تامّاً من تعمد القتل والأذى للمؤمنين، أم أن يكون التغيير مشاهداً في الأخلاق والأفعال.

ونجد القرآن الكريم في سبيل التغيير التربوي للنفوس يجمع كثيراً بين أسلوبي الترغيب والتربية بالقدوة الحسنة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[72] كما يكثر أيضاً ترغيب المدعو بذكر ما يترتب على الطاعة من أجر وثواب، كما في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [73] والأمثلة لذلك في القرآن الكريم كثيرة.

دور التربية في تغيير ما بالنفس

إن كثيراً من الآيات والأحاديث النبوية تدل على أن للتربية دوراً في تغيير الطبيعة الإنسانية، فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**)[74] وإن الرسول –عليه الصلاة والسلام– قد بعث مربياً ومعلماً، رافعاً لواء التعليم والتزكية، واضح المنهج ومطبقاً له، فكان قدوة عظيمة اقتدى به الصحابة وتخرجوا على يديه فغيروا ما بأنفسهم فتغير مجرى التاريخ.[75] إذن، يمكن تهذيب سلوك الناس ونفوسهم وتزكيتها عن طريق التربية وبالأساليب المختلفة، ويُعَدُّ إبراز دور الإنسان في منهج التغيير بدرجة كافية غداً من الضروريات الملحة جداً، ذلك لأن الإسلام جعل الإنسان مدار الحركة الحضارية، وأوكل إليه مهمة التغيير والبناء وكلفه لتحقيق الخلافة على هذه الأرض.[76]

ويؤكد القرآن الكريم دور الإنسان في عملية التغيير، وأنه قد يكون في الاتجاه الايجابي أو السلبي، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (77) ويقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (78) فهذا الجانب يقرر عدل الله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما منحهم إياه للابتلاء والاختبار ثم لم يقدُروه ويشكروه، ومن جانب آخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم. فأخبر الله تعالى بأنه لا يغيّر ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، وإذا أراد الله أن يغيّر ما بقوم حين يغيرون ما بأنفسهم لا يَردّ إرادته شيء (79) فهو يتعقبهم بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم، فيرتب على ذلك تصرفه بهم. فإنه لا يغير نعمة ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة، إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم. ففي الآية من سورة الرعد جاء بعد تقرير المبدأ السياق عن حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء؛ لأنهم، حسب المفهوم من الآية، غيروا ما بأنفسهم إلى الأسوء فأراد لهم الله السوء. (80) ولكن إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة. (81) أما في الآية من سورة الأنفال ففيها إشارة إلى ما أنزله من عذاب على الأمم المكذبة الكافرة الظالمة، وإلى بيان سنته في عباده، وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه أن يغير نعمة أنعمها على قوم كالأمن والرخاء، أو الطهر والصفاء حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويكذبوا، ويظلموا أو يفسقوا ويفجروا. وذلك كدأب كفرة قريش المذكورين حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة أصنام، غافلين عن نعم الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم، كصلة الرحم، فلما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – غيروها على أسوأ حال منها وأسخط حيث كذبوه وعادوه ومن تبعه من المؤمنين، وتحزبوا عليهم وقطعوا أرحامهم، فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال ووجه إليهم نبال العقاب والنكال. (82)

وفي ضوء الآيات السابقة يمكننا القول إن التغيير الذي يقود الأمم لصنع التقدم، إنما يعني إحداث ثورة داخل كيان الإنسان لصالح نفسه ولصالح الحياة من حوله، وتتم هذه الثورة أولاً داخل النفس، ثم تتجه بعد ذلك إلى إحداث التغيير في المجتمع. (83) ولكن هذا التغيير ينبغي أن يكون على مستوى القوم أو من يُمثل المجتمع أو الدولة، فيحدث التغيير منهم أولاً، وهو التغيير الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم، بإقدار الله تعالى لهم على ذلك، حتى يغير الله حالهم. وإن حدوث أي تهاون في الخلط بين التغييرين، وإدخال التغيير الذي يحدثه الله بالتغيير الذي يقوم به القوم، أو العكس، يفقد الآية فعاليتها، وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها. ولكن، وإن كان تغيير ما في النفس أساس تغيير المجتمع، أو تغيير الدولة، إلا أن الفردية وحدها ليس لها حظٌ في التغيير الشامل، الذي يقوم على العمل الجماعي، وليس على أساس المجهودات الفردية غير المتسقة التي أحياناً تكون متضاربة ولا تؤدي إلى الغرض المطلوب. (84)

والحديث في الآية عن قوم وعن مجتمع، له خصائصه بما يشمل الرجال والنساء، الصغار والكبار، بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين أو الأمة وأنه لا يشترط أن يغير الله ما بشخص إذا غير ما بنفسه، كما أنه لا يشترط أيضاً أنه لا يغير الله بالشخص إن غير ما بنفسه، لأن البحث ليس عن شخص معين، وإنما البحث عن مجتمع باعتباره كياناً واحداً. إذ إن الفرد، يمكن أن يتغير ما به في بعض الجوانب، إن غير ما في نفسه، ولكن ذلك ليس دائماً في كل الأمور، فهناك أمور خاصة بالمجتمع، لابد من تغييرها، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغيير. وعلى هذا يكون مضمون الآية (إن الله لا يغير ما بقوم) ما بمجتمع أو كيان اجتماعي حتى يغير المجتمع، أو الكيان الاجتماعي، ما بأنفسهم أو الدولة بما فيها. (85) فالآية توضح المسؤولية الاجتماعية، أي مؤاخذة المجتمع كله، وللتربية في هذه المسؤولية دور رئيس في تغيير وبناء المجتمع القادر بقيام على هذه المهمة.

ميادين التربية في القرآن الكريم

الميدان التربوي الأول في القرآن الكريم هو تزكية النفس والعقيدة يقول الله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ (86) فهذا الميدان التربوي هو عام، أي أنه موجه للناس كافة، ومن خلال معنى كلمة «آياتنا» يمكن أن نفهم سعة هذا الميدان التربوي، فهو يشمل القرآن الكريم بأكمله بما فيه من عقيدة وأخلاق وأحكام، وهو من أوله إلى نهايته لم يدع باباً من الخير إلا أتى به ولا موعظةً نافعةً إلا ذكرها للناس. وهذا الميدان التربوي في العقيدة يتسع إلى إبراز الأدلة والبراهين، بحيث يثبت الإيمان عند الإنسان، ويزيل شكوكه وليتيقن في توحيد الله تعالى. ومن هنا نفهم أن التربية على العقيدة تعتمد على الأدلة لا على الإكراه، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ (87)، أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار، فقد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة. (88) وميدان التربية في مجال العقيدة ليس له حدود كما أن لا حد لكلمات الله، وتبرز في هذا الميدان الشواهد الربوبية وغرس الاتجاهات الإيمانية في نفوس الأفراد، بما في ذلك من الإيمان بالغيبيات وما فيها مما يتعلق بحياة الناس من تقدير الأرزاق والآجال، والذي يثمر إحساساً بالطمأنينة والثقة بالله والتوكل عليه. أما ميدان التزكية فهو ما يعبر عنه كلمة (ويزكيهم) من الآية، والتزكية التطهير من النقائص وأكبر النقائص الشرك بالله، وفي هذا تعريض بالذين أعرضوا عن متابعة القرآن وأبوا إلا البقاء على الشرك.

وتعني التزكية لغة الإصلاح والتطهير والتنمية، وتتضمن أيضاً تعديل السلوك بتهذيب ما هو غير مرغوب من العادات والتقاليد الجاهلية وتعزيز ما هو مرغوب من سلوك. وقدم التزكية على التعليم في هذه الآية وأخرها عنه في دعوة إبراهيم في سورة البقرة لاختلاف المراد بها في الموضعين، ولكل مقام مقال. والتزكية عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة، إلا أنها وسطت بين التلاوة والتعليم المترتب عليها للإيذان بأن كلاً من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر. ولو روعي ترتيب الوجود كما في دعوة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة. (89) كما أن ميدان التزكية يشمل تزكية الجسم بمراعاة الأحكام المتعلقة بذلك، فمنها أن يكون

الطعام حلالاً طيباً، حتى لا يكون ذلك مفسدة للعقل والجسم غير مكتسب من حرام ولا يحتوي خبيث، يقول تعالى: ﴿**وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[90] وقال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ**﴾[91] يحرّم عليهم الخبائث أي ما يستخبث من الدم والميتة ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، يحرم الخمر وكل الذي يضر في جسم وعقل الإنسان.[92] وبعد ميدان العقيدة والتزكية يأتي ميدان التعليم والإعداد، وذلك لأن التفكير السليم ينبغي أن يُزرع في موضع نظيف، حتى يتناسب مع الوظيفة التي يجب أن يتحملها الإنسان. ولذلك كان دور التربية في ميدان التزكية مهتماً بتزكية العقل قبل ميدان التعليم والإعداد الفكري. ويدعو القرآن إلى التفكير العلمي بدلاً من الظني والهوى، وذلك بإقرار المنهج العلمي للنظر العقلي، ورفض الظنون المجردة، قال تعالى: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ**﴾[93]، أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.[94]

وندد القرآن الكريم بمن يتبع الهوى، ودعا إلى التثبت من كل أمر، ونهى عن تبديد الطاقات السمعية والبصرية والعقلية في أشياء لا أساس لها. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[95]، أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وستسأل عنه عما عمل فيها.[96] ويستنكر القرآن التقليد الأعمى ويقرر التجديد، لأن التقليد يعني عدم استعمال العقل، كما يدعو إلى التفكير والتحرر من الأوهام.[97] ويعبر عن ميدان التعليم والإعداد الفكري في قوله تعالى من الآية: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الكتاب**﴾[98]، يعلمهم الشريعة فالكتاب هنا هو القرآن باعتبار كونه كتاب تشريع، ويعلمهم أصولَ الفضائل ويفهمهم ألفاظه ويبين لهم كيفية أدائه، ويوقفهم على حقائقه وأسراره، ويخرجهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.[99] ويتركز في هذا الميدان تعليم الأمور التي تتعلق بالمبادئ والتشريعات والثقافة العامة والمهارات الفكرية والعملية التي تمكنه من تخطيط حياة الإنسان وإدارة شؤونه المختلفة.

ويشمل هذا الميدان أيضاً التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ووضع خطواتها العريضة وفتح باب الاجتهاد. ويهدف هذا الميدان التربوي أن يعلم الإنسان ويجهزه علمياً وفكرياً ليكون مستعداً لحمل المسؤوليات التي لكل إنسان منها نصيب، وكلما ارتفع الإنسان درجة في العلم كلما زادت مسؤوليته وأهميته، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[100] وبعد ميدان التزكية والإعداد الفكري والتعليمي يبقى على الإنسان أن يمر بميدان الإعداد الوظيفي، ويعبر عن هذا الميدان قول الله تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ**﴾[101]، أي حتى يضعوا الأشياء مواضعها، والحكمة تعني ما يزيل من القلوب وهج حب الدنيا، أو تعني الفقه في الدين، أو السنة المبينة للكتاب أو الكتاب نفسه. وتعليم الحكمة الإيقاف على ما أودع في الكتاب، وبما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام، فتشمل الحكمة النظرية والعملية.[102] والحكمة هي التعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد.[103] ولها معانٍ عدة يدل بعضها على جانب نظري يتمثل في المعرفة والفهم والقدرة والتميز، ويدل بعضها الآخر على جانب تطبيقي أو عملي يتعلق بالإدارة ونفاذ البصيرة وإيجاد الحلول الملائمة وجوانب أخرى. ومن معاني الحكمة سنة الرسول ونبوته، يقول تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[104]، والحكمة هنا النبوة والسنة.[105] وبهذا الميدان التربوي يتربى الإنسان على حسن التعامل والتصرف ومخاطبة الناس، يقول تعالى: ﴿**ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[106]، أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة.[107] كما يتربى الإنسان على فهم المبادئ التي تحكم السلوك، لأن من معاني الحكمة فهم الأمور ومعرفتها، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[108]، أي: الفهم والعلم والتعبير.[109] والتربية على الحكمة تعني التربية على كسب القدرة للتمييز بين الخطأ والصواب، والنافع والضار، يقول تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[110]، والحكمة هنا إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم. وهي مشتقة من الحُكْم، وهو المنع، لأنّها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال. ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعداً لذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلاً لفهم الحقائق منقاداً إلى الحق إذا لاح له، لا يصدّه عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أَنَفَة، ثم ييسّر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامة البقعة من العُتاة، فإذا انضمّ إلى ذلك توجّهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيراً ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير.

وفسرت كذلك الحكمة بأنّها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يغلط في العلل والأسباب.[111] والتربية في هذا الميدان تُعدّ الإنسان لحسن التخطيط والإدارة، ولمواجهة المشكلات والعمل على حلها، كما يُربّى على استنباط القوانين وحسن التعامل، وعلى مراعاة الاستعدادات والفروق الفردية بين الأفراد وفهم كل فرد لدوره وقدراته وكل جماعة ودورها وقدراتها منفتحاً إلى ما عند المجتمعات الأخرى من تنظيمات ووسائل، لأن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها. وبهذا الميدان التربوي تتم دائرة ميادين التربية التي تتضمن أموراً كثيرة وأنشطة مختلفة تتعلق بالنفس الإنسانية ومجالات تغييرها من تعديل سلوكها، وبما يتضمن من مهارات فكرية وعقلية وعملية، وإمكانات ما بالأنفس التي هي أساس تغيير المجتمع.[112]

الخاتمة:

إن التغييرات تنشأ من الإنسان نفسه كفرد يحدث التغيير في ذاته، إما إلى الأفضل، بالإصلاح والرقي والتقدم، وإما إلى الأسوأ، بالفساد والتخلف. فكيفما كانت تلك التغيرات، كانت على شاكلتها النتائج. ويركز القرآن الكريم بخطاب خاص على سنن الله تعالى، فتارةً يعلّم بها، وتارةً يصحح بها المفاهيم الخاطئة لدى أولئك الذين يظنون أن الأمور في هذه الدنيا تجري بشكل عفوي، مؤكداً أن قانون الله تعالى لا يتغير. ويذكر القرآن قواعد محددة في التغيير؛ كي يستفيد منها الناس، ويتعلموا الأسباب التي تقود للتغييرات الإيجابية ويُعلّموها لغيرهم، كي يتجنبوا التغييرات التي تعود بهم إلى الوراء وبالتالي السقوط. ليس ضرورياً أن يتحسن الناس

جميعاً وأن يعيشوا التغيرات الإيجابية، بل من الممكن أن تتغير فئة من المجتمع إيجاباً مما يؤثر على الآخرين فيشملهم هذا التغيير. إن الظلم هو أحد الأسباب الرئيسة الذي يمكن أن يقود المجتمع كله ليعيش تغيرات غير مرغوبة. والتربية والتعليم ضروريان ليغرسا في الناس الحافز للقيام بالأعمال التي عن طريقها يتحقق التغير الإيجابي، والأمر ذاته في توعية الناس أن لا شيء يحدث في الكون بشكل عفوي، بل هناك أسباب وضعها الخالق، جل وعلا. والتغييرات الإيجابية في الإسلام هي ثمرة الإيمان، والعلم والعمل، والتربية هي الأسلوب الرئيس في التغيير المرغوب. وقد أرسل الرسل جميعاً لهدف إصلاح أحوال الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. وتتمثل هذه المهمة اليوم بالتربية الإسلامية والدعوة والتوعية من قبل الدعاة والعلماء والمربين. وللوصول إلى نتائج المرجوة يتعين عليهم الصبر والحزم والرغبة القوية بذلك.

الهوامش:

1. سورة الأحزاب، الآية 62.
2. سورة الرعد، آية 11.
3. سورة الأنفال، آية 53.
4. عبدالباقي، محمد فؤاد/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ص 504.
5. سورة النساء، آية 114.
6. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج 9، ص 201.
7. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 5، ص 384.
8. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 9، ص 254.
9. سورة هود، الآية 117.
10. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 9/ ص 114، الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 413.
11. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين/ لسان العرب، ج 23، ص 2077.
12. مجموعة مؤلفين/ الموسوعة الفقهية، ج 13، ص70.
13. الحجر، الأية 4.
14. الحجر، الأية 5.
15. سورة الإسراء: آية 24.
16. سورة الشعراء: آية 18.
17. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 19، ص 48.
18. سورة آل عمران: آية 79.
19. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص 136.
20. الأنصاري، د. محمد جابر/ رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية: ص 9.
21. ابن خلدون/ المقدمة: ص 38، ص 588.
22. سورة الروم، الآية 4-1.
23. سورة الكهف، الآيات 21-15،20.
24. سورة يوسف، الآية 50.
25. سورة الشعراء، الآية 29.
26. سورة الرعد، الآية 11.
27. سورة الأنفال، الآية 53.
28. الزامل، محمد عبد الله/ التأصيل الإسلامي للتغيير الاجتماعي: ص3.
29. سورة البقرة، الآية 251.
30. سورة آل عمران، الآية 140.
31. سورة محمد: آية 19.
32. علي، سعيد إسماعيل/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص 24-23.
33. أبادي، محمد بن يعقوب الفيروز/ القاموس المحيط: ج 4، ص: 364.
34. سورة الروم: آية 39.
35. بن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم/ لسان العرب: ج 2،ص 401 و ج 5، ص 128-127.
36. الجواري، إسماعيل بن حماد/ الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية: ج 6، ص 2351-2349.
37. بن فارس، أحمد زكريا أبو الحسين/ معجم مقاييس اللغة: ص 378.
38. إسماعيل، أ.د.سعيد، وبن محجب، أ.د.محمد، وإبراهيم، أ.د.عبد الراضي/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص17.
39. النجيحي، محمد/ مقدمة في فلسفة التربية: ص 117.
40. محمد، علي سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص 6.
41. أبو لاوي، أمين/ أصول التربية الإسلامية: ص 18، الشيباني، عمر محمد التوم/ فلسفة التربية الإسلامية: ص 38.
42. القضاة، خالد/ المدخل إلى التربية والتعليم: ص 17.
43. داغستاني، بلقيس إسماعيل/ التربية الدينية والاجتماعية للأطفال: ص 97.
44. سورة البقرة: آية 256.
45. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 1، ص 683.
46. سورة محمد: آية 19.
47. سورة آل عمران: آية 26.
48. سورة فاطر: آية 3.
49. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 6، ص 533.
50. عميرة، د.عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 59.
51. سورة البقرة: آية 168.
52. سورة النور: آية 30.
53. سورة الشمس: آية 10-6.
54. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 926.

55. عميرة، د.عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 155.

56. سورة هود: آية 112.

57. سورة الأحزاب: آية 21.

58. سورة يوسف: آية 111.

59. يوسف، زينب بشارة/ من أساليب التربية في القرآن الكريم: 65.

60. سورة القصص: آية 76.

61. سورة القصص: آية 4.

62. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 20، ص 42.

63. سورة الحديد: آية 16.

64. سورة النور: آية 15–14.

65. عميرة، د.عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 195.

66. سورة القيامة: آية 23–22.

67. سورة القيامة: آية 24، 25.

68. يوسف، زينب بشارة/ من أساليب التربية في القرآن الكريم: ص 53.

69. سورة الزمر: آية 23.

70. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 723.

71. سورة النساء: آية 93.

72. سورة مريم: آية 54–55.

73. سورة البقرة: آية 155، 156.

74. أخرجه البخاري/ صحيح البخاري/ كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين/ ص 222، حديث رقم 1385، وأخرجه إمام مسلم/ صحيح مسلم/ كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة: ص 1157، حديث رقم 2658.

75. مطر، د. سيف الإسلام علي/التغير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية/ ص 78.

76. عبد الحميد، محسن/ منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام: ص 40.

77. سورة الرعد: آية 11.

78. سورة الأنفال: آية 53.

79. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 8، ص 29، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 13، ص 100.

80. قطب، سيد/ في ظلال القرآن: ج 7، ص 335–333.

81. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 324 و 414.

82. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 10، ص 20.

83. سبع، توفيق محمد/ نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني: ج 2، ص 364.

84. علي، سعيد إسماعيل/ أصول التربية الإسلامية: ص 179.

85. سعيد، جودت/ حتى يغيروا ما بالأنفس: ص 38.

86. سورة البقرة: آية 151.

87. سورة البقرة: آية 256.

88. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 1، ص 331.

89. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 10، ص

90. سورة المائدة: آية 88.

91. سورة الأعراف: آية 157.

92. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 156.

93. سورة النجم: آية 23.

94. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 7، ص 457.

95. سورة الإسراء: آية 36.

96. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 5، ص 75.

97. مطر، د. سيف الإسلام علي/التغير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية: ص 54.

98. سورة البقرة: آية 151.

99. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 1، ص 387، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 1، ص 93.

100. سورة المجادلة: آية 11.

101. سورة البقرة: آية 151.

102. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 1، ص 387.

103. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 2، ص 49.

104. سورة النساء: آية 113.

105. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 2، ص 410، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 5، ص 197.

106. سورة النحل: آية 125.

107. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 601.

108. سورة لقمان: آية 12.

109. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 6، ص 335.

110. سورة البقرة: آية 269.

111. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 3، ص 61.

112. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية: ص 60.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز/ القاموس المحيط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثامنة – 1426 هـ/ 2005 م
3. أحمد، د. رفعت سيد/ من الإسلام الى التغيير: أسرار و حقائق الإسلام و قضايا التغيير الاجتماعي/ دار الملتقى للنشر/ قبرص/ الطبعة الأولى 1993 م
4. الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد /مفردات ألفاظ القرآن/ دار القلم– دمشق و الدار الشامية – بيروت/ الطبعة الثانية – 1418 هـ / 1997 م
5. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت– بدون سنة طبعة
6. الأنصاري، د. محمد جابر/ رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية/ دار شروق/ القاهرة – 1999م
7. البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار السلام للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية، الرياض – 1419 هـ/ 1999 م
8. بدوي، أحمد زكي/ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: مكتبة لبنان، بيروت – 1986م
9. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين/ مقدمة ابن خلدون/ دار القلم/ الطبعة الحادية عشر/ بيروت – 1413 هـ / 1992 م
10. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين/ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) / دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى – 2000 م
11. الزعبلاوي، محمد السيد/ تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس/ مؤسسة الكتب الثقافية/ الطبعة الأولى– 1414هـ / 1988م
12. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثانية/ بيروت – 2001م
13. د. سداد، ساهر حسن/ نظرية التغيير النفسي والاجتماعي من منظور إسلامي/ الطبعة الأولى/ دار النفائس، الأردن/ دار الفجر، بغداد – 1432 ه / 2011 م
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان/ تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الأولى – 1420 هـ / 2000 م
15. سعيد، جودت / حتى يغيروا ما بأنفسهم/ الطبعة الثامنة/ القاهرة – 1989 م
16. الشيباني، عمر محمد التوم/ فلسفة التربية الإسلامية/ المنشأ العام للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، طرابلس – 1983 م
17. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – 1415 هـ / 1995م
18. ابن عاشور، محمد الطاهر/ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد المسمى بالتحرير والتنوير/ الدار التونسية للنشر– 1984م
19. عبد الباقي، محمد فؤاد/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ بدون سنة طبعة
20. عبد الحميد، محسن/ منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام/ مؤسسة الرسالة ودار الفرقان للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى، بيروت – 1983م
21. عثمان، د. محمد/ أساليب التقويم التربوي/ دار أسامة للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى، عمان، الأردن 2001– م
22. علي، سعيد إسماعيل/ أصول التربية الإسلامية/ دار الفكر العربي/ القاهرة – 1413 هـ/ 1993 م
23. علي، سعيد إسماعيل وآخرون/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات/ الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية – 1426 ه/ 2005م
24. عميرة، د. عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال/ مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ 1401 هـ1981–م
25. أبو عينين، علي خليل/ التربية الإسلامية وتنمية المجتمع/ مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة النبوية – 1408 / 1987 م
26. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ البعة الأولى – 1988 م
27. قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ دار الشروق/ الطبعة العاشرة – 1402 هـ / 1982 م
28. القضاة، خالد/ المدخل إلى التربية والتعليم/ دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن – 1418 / 1988 م
29. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن الخطيب أبو حفص عمر الشافعي/ تفسير القرآن العظيم/ المحقق سامي بن محمد سلامة/دار الطيبة للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية – 1420هـ – 1999م
30. مجموعة من المؤلفين/ الموسوعة الفقهية/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ الكويت/ مطبعة الصوفة للطباعة والنشر و التوزيع/ الطبعة الأولى – 1412هـ / 1992 م
31. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري/ دار السلام للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية/ الرياض – 1421 هـ/ 2000 م
32. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغيير الاجتماعي – دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية/ دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع/ الطبعة الثانية/ القاهرة – 1409 هـ / 1988 م
33. المناوي، محمد عبدالرؤوف/ التوقيف على مهمات التعاريف/ تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان/ القاهرة – 1410هـ
34. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الأفريقي المصري/ لسان العرب: دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الأولى – 1412 هـ / 1992 م
35. ناصر، د. إبراهيم عبد الله/ علم الاجتماع التربوي/ دار وائل للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ الأردن، عمان – 2011م
36. النووي، محيي الدين أبو بكر زكريا يحيى بن شرف/ شرح النووي على صحيح مسلم/ دار إحياء التراث العربي/ التبعة الثانية/ بيروت – 1972م.